



حين لا يكفي أن تعرف

حسن القحطاني

المعرفة لا تغير مصيرك ما لم تحول إلى سلوك، ولا تبنيك ما لم تُختبر بالفعل.

ليست المشكلة الكبرى في حياة الإنسان أنه لا يعلم، بل أنه يعلم ثم يؤجل. تراكم في رأسه الأفكار، وتزدحم في ذاكرته الدروس، وتظل حياته واقفة عند النقطة نفسها، لأن المعرفة صارت ترفاً ذهنياً بلا قوة تغيير.

العلم في حقيقتهوعي، والوعي لا يغير الحياة تلقائياً. يفتح العين، لكنه لا يجعل القدم على المشي. يعطي الاتجاه، لكنه لا يقطع المسافة عن صاحبه. ولهذا يخدع كثيرون أنفسهم بأنهم يتقدّمون لمجرد أنهem يفهمون أكثر، بينما حياتهم لم تترك خطوة واحدة.

كثيرون يعرفون ما الذي ينبغي فعله: قيمة الوقت، خطر التسويف، أهمية الانضباط، أثر العادة، ومعنى المسؤولية. لكن المعرفة عندهم تشبه مصباً مضاءً في غرفة لم يدخلوها بعد. يرون كل شيء بوضوح، دون أن يلمسوا شيئاً.

الفعل هو اللحظة التي يتحول فيها العلم من فكرة إلى الواقع، من قناعة صادمة إلى سلوك متكرر، ومن معلومة جميلة إلى أثر يرى. وهو، خلاف ما يظنه البعض، لا يأتي دائمًا على هيئة قرار صاخب أو قفزة بطيئة، بل يبدأ غالباً هادئاً، بلا شهود.

أن تلتزم بما وعدت به نفسك حين لا يراك أحد، أن تبدأ رغم غياب الحماس، أن تنهي ما بدأت، لا لأنك متأكد من النتيجة، بل لأنك مسؤول عن المحاولة، هنا فقط يبدأ البناء الحقيقي.

الإنسان لا يُينى بما يعرفه، بل بما يكرره. والمعرفة التي لا تحول إلى فعل تحول مع الوقت إلى عباءة نفسي، لأنها تذكر صاحبها بما كان يمكن أن يكونه ولم يكن.

وحيث يصبح الفعل عادة، تحول العادة إلى شخصية. وحيث تتغير الشخصية، يتغير أثر الفرد في محیطه. وهذا فقط تغير المجتمعات، لا بالخطب الطويلة، ولا بكثرة الوعي النظري، بل بأفراد قرروا أن يكونوا صادقين مع ما يعلموه.

العلم يرشدك إلى الطريق، لكن الفعل وحده هو الذي يأخذك إليه.

حسن القحطاني